مجلة دراسات تاريخية ISSN : 2352-9741
المجلد :08 العدد : 01 السنة : 2020 / ص ص 81- 90

التعليم العربي الحر بالجنوب الجزائري
"منطقة الزيبان أنموذجا" 1920-1954

free Arabic education in southern Algeria
(case of El Zibane region) 1920-1954

د/ قوبع عبد القادر *
جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر). goubaaa61@gmail.com

تاريخ الارسال : 1919/12/24 تاريخ القبول : 1919/12/24 تاريخ النشر : 2020/05/19 المؤلف المرسل :د/ قوبع عبد القادر

ملخص البحث:

يتناول هذا المقال موضوع التعليم العربي الحر في الجنوب الجزائري من خلال منطقة الزيبان (بسكرة وضواحيها) خلال الفترة الممتدة بين 1920 و 1954 التي تمثل الفترة الذهبية لنشاط الحركة الإصلاحية الجزائرية خاصة في مجال التعليم العربي الحر.

فتطرق المقال لأهم الدعوات والنداءات والمبادرات لإصلاح التعليم والاهتمام بتعليم أبناء الأهالي المسلمين وكذلك أهم المؤسسات التعليمية التي ظهرت وبرامجها ومناهجها وانتظامها في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ذلك.

الكلمات المفتاحية:

التعليم العربي، بسكرة، الجنوب الجزائري، الحركة الإصلاحية.

Abstract :

this article deals with the subject of free Arabic education in southern Algeria through the region of El Zibane "Biskra and surroundings" from the period 1920 to

*المؤلف المرسل

1954 which represents the golden phase for the activity of the Algerian reform movement especially in field of free Arab education.

the article contained the invitations, the calls and the initiatives to reform the teaching as well as the importance given to the teaching of the children of the native Muslims (children of indigenous) and also the most important establishments which were built according to their programs, curriculums and their integration into the project of the Association of Algerian Muslim Ulemas at the latest.

***keywords**:Arabic teaching, Biskra, Algerian south, Reform movement*

مقدمة:

مثّل التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية نقطة التقت عندها مختلف المواقف اتفاقا أو تصادما من حيث كونها تعكس التكوين و التمكين والاستمرار للأفكار و الايديولوجية والهوية وصناعة المواقف والمكاسب في الأخير. لذا شكل حقلا من الحقول التي عرفت زخما كبيرا طيلة فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وظلفي مد وجزر بين السلطات الاستعمارية الفرنسية من جهة والحركة الوطنية الجزائرية عبر مراحل تطورها من جهة أخرى الى غاية ثورة أول نوفمبر 1954.

وفي هذه الدراسة سنتطرق إلى أهم مؤسسات التعليم العربي الحر التي تكفلت بمهمة نشر اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي وعلومه في منطقة الزيبان (بسكرة وضواحيها) والتي ظهرت في الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية ثورة أول نوفمبر 1954، وندرس كيف تطورت هذه المؤسسات وتوسعت والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وأهم المواقف التي قابلت هذا النشاط والتوسع، دون إغفال أهم الدعوات التي سبقتها والمحاولات الجادةالتي عرفتها.

1- صورة عنالحياة الثقافية والتعليمية في الزيبان:

كان من الطبيعي أن تنعكس الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة للأهالي للجزائريين تحت الاستعمار على حياتهم الثقافية والعلمية، خاصة أن السياسة التعليمية الفرنسية قد بنيت على محاربة اللغة والثقافة العربية و هذا بمنظومة متعددة القوانين و التشريعات أهمها اعتبار العربية لغة أجنبية في الجزائر، ومحاربة تاريخ وجغرافية الجزائر سبيل استكمال القضاء على الشخصية الجزائرية في مختلف أبعادها.[1]

ففي 24 ديسمبر 1904 أمر الحاكم العام بالجزائر **جُونار** بقصر رخصة التعليم على تعليم القرآن دون تفسيره، وإذا كان الأطفال في شمال الجزائر قد ظلوا بعيدين عن حركة التعليم بفعل سوء الأوضاع الاقتصادية لعائلاتهم، واقحامهم في الرعي ومسح الأحذية والعمل في المزارع فحال أبناء الجنوب لم تكن بأفضل منهم فكان الرعي ومسح الأحذية والعمل في الواحات هو مصيرهم.[2]

ولهذا لا تفاجئنا نسبة الأمية في الجزائر التي بلغت تسعين بالمئة (90%) بالنسبة للرجال و ثمانية وتسعين وأربعة أجزاء (98.4 %) بالنسبة للنساء.[3] وقد تمثلت أهم مؤسسات التعليم في منطقة الزيبان فيما يلي:

أ -الزوايا:

لعبت الزوايا دورا دينيا واجتماعيا وعلميا في مختلف الفترات والمناطق في البلاد الإسلامية ومنها الجزائر وقد وجدت في الزيبان على ضعفها تبقى مَدينةً للطُّرق الصُّوفية والزوايا في المنطقة،ففي إحصاء يعود إلى سنة 1895 نجد المؤسسات الدينية والثقافية في الزيبان هي خمسة وتسعون (95) مؤسسة دينية وثقافية مبنية حول القبور أو المساجد بالزَّاب الشرقي، وواحد وأربعون (41) مسجدا في تكوت ودائرة بسكرة و مشونش[5]

ويمكننا أن نَصِف حالة التعليم داخل الزاوية بأن الطلبة فيها يقسمون إلى مجموعتين، كل مجموعة تنقسم إلى فئات ثلاث، فالمجموعة الأولى هي فئة المبتدئين (من لم يختم سورة البقرة)، وفئة المتوسطين (من ختم سورة البقرة وشرع في الإعادة)، وفئة المنتهين (من ختم القرآن ولم يبق له إلا الرِّواية والتجويد). أما المجموعة الثانية ففيها فئة الأجْرُومية وابن عاشر، وفئة القَطْر والرسالة، وفئة الأَلفية والرسالة ثم الشيخ خليل[6]

ويُصوِّر أحد أبناء الزيبان حالة التعليم البائسة في منطقة خنقة سيدي ناجي، بقوله:".. فالولد يقضي جلَّ حياته- إن لم أقل عُمرَه كلَّه- في الدروس القرآنية مُنكبًّا على لوحة مملوة حروفا سودا يكررها صباحا ومساء (كالفوتغراف) من دون فهم حتى يعوج مستقيم عمودنا[7]. ولهذا تتفق مختلف مصادر هذه الفترة على عقم تعليم الزوايا وعدم ملاءمته للعصر و عدم توفر فرص الدراسة للأطفال خاصة أبناء الفقراء منهم، حتى دعا أحد أبناء منطقة سيدي عقبة إلى عدم التمييز بين أبناء الفقراء والأغنياء في قبولهم بالمكاتب القرآنية. ولعل هذا ما يفسر لنا توجه طلبة الزيبان إلى المشرق وتونس وحتى المغرب الأقصى.

ب- المسجد:

الفعالية لضُعف التجهيزات المادية وضُعف تكوين المعلمين، ورغم أن التلاميذ يدرسون به مبادئ النحو والفقه والأدب والحساب والتوحيد لكنهم لم يكونوا يستفيدون من هذه المعارف أو يوظفونها، خاصة أن الاعتماد كان على الحفظ والتلقي والاستظهار فقط ، كما أن المسجد كان يجمع كل الأعمار فتجد الشيخ إلى جانب الطفل في حلقة واحدة ، وهو أمر تكرر في التقارير الفرنسية التي كانت صريحةً عندما قالت بأنها سمحت بهذا التعليم بهدف تحضير مرشَّحين للمدارس الشرعية فقط.[8]

وإذا كانت الزوايا توفر للتلاميذ الإيواء والإطعام لذا يستقر بها التلاميذ القادمون من واحات وأرياف الزيبان فإن المسجد عادة ما يرتبط بالتجمعات السكانية مما يجعل الإقبال عليه مرتبط بأبنائها فقط.

ج- التعليم الفرنسي:

إذا عرفنا سياسة فرنسا تجاه التعليم العربي في شمال الجزائر نكاد نعرف مبدئيا موقفها منه في إقليم يقع أغلبه فيالإقليم العسكري (الجنوب)، فمن جهةٍ تعسُّف الإدارة، ومن جهة أخرى عدم رغبة الأهالي في التعليم

الرسمي خوفا من التَّنصير، إضافة الى الطابع البدوي الريفي، ورغم إدماج ميزانية الجنوب في ميزانية القُطر سنة 1948 وتزايد عدد السكان إلا أن عدد الأقسام التعليمية وصل ستة أقسام في سيدي خالد ، وقسما واحدا في أُورلال ، وتسعة أقسام للذكور وقسما واحدا للبنات في طولقة ، و أربعة أقسام في سيدي عقبة ،و ثلاثة أقسام للذكور في شتمة ،و خمسة أقسام في أولاد جلاّل ، مع معرفتنا بضعف تكوين المؤطرين ونقص عدد التلاميذ وعدم اهتمامهم، ففي مدينة أولاد جلال مثلا وصل عدد المسجلين الجدد في سنة 1952 سبع عشرة (17) تلميذا كلُّهم ذكور.[9]

وبمراجعة الوثائق الفرنسية والشكاوي لكتاب صحافة تلك الفترة المتكررة فإنه إذا ما استثنينا مدينة بسكرة فإن التعليم الفرنسي بقي غائبا في المنطقة.

2- مرحلة الدعوة إلى التعليم العربي:

شكّلت الدعوة إلى التعليم مظهرا من مظاهر الحركة الإصلاحية الناهضة في مختلف مناطق الجزائر بما فيها الزيبان وهذا لما يمثله التعليم من أساس للعمل الإصلاحي فهو لا يقوم إلا به.

وإذا كانت شهرة الشيخ الطيب العقبي قد اكتسبها من تحمسه للإصلاح الديني فإن كثيرا من أبناء الزيبان مالوا وتبنوا التعليم مظهرا من أهم مظاهر العمل الإصلاحي وأحد أهم وسائله، فالشيخ محمد خير الدين كتب في تقريره إلى مؤتمر جمعية العلماء في سنة 1935:"إن الإصلاح الحقيقي الثابت الأركان المتين الدعائم هو ما تبنيه شبيبتنا المتعلمة على أساس العلم".[10]

وازدادت أهمية هذه الدعوات بعد وصول عدد من أبناء المنطقة ممن أنهوا دراستهم في جامع الزيتونة أو الأزهر أو الحجاز...حيث شرعوا في مطالبة السلطات الفرنسية بتوظيفهم، أو السماح لهم بفتح مدارس عربية، بمنحهم الرُّخص وفتح المساجد أمام نشاطهم، بل طالبوا بإنشاء كُلّية عربية: " تُقرّر فيها الفنون والكتب العالية " كما كتب المولود الزريبي الذي طمأن السلطات الفرنسية بأن هذه الكلية ستخدم فرنسا لأنها واقعة تحت نظرها، .وهو ما طالب به محمد السعيد الزاهري منذ سنة 1927 ،عندما وجه مجموعة اقتراحات للنواب، منها السماح لخرّيجي الزيتونة والأزهر وغيرهما بالتدريس في المساجد، وإحياء الوظائف الدينية التي ألغيت، وفتح المساجد للمتطوعين لتدريس أبناء بلدهم، وإنشاء شبه كلية دينية لتدريس الديانة الإسلامية وآدابها.[11]

و نجد هذه الدعوات في الصحف و التجمعات و الندوات و الأشعار والنثر، وتنطلق كلها من أن تفوق الغرب واحتلاله الشرق إنما كان بتفوقه العلمي، فيقول مثلا الشيخ الطيب العقبي:[12]

الناس في ضوء النها ر وهم عُكوف في سواد
طاروا بآلات الصعو د، وطاردوا الطير الصعاد
تسابقوا ببخارهم فتقدموا خيل الطراد
العلم كان دليلهم سعيا وضربا في البلاد
العلم ملّكهم نوا صينا فلجُّوا في عناد

وقد كتبت جريدة **الصديق** عن أحوال الزيبان ودعت إلى النهوض بالتعليم بها وتطويره وتحريره من

الجمود، فكتب المولود الزريبي عن الحل بقوله "بأن يجدّوا (الجزائريين) في تلقي هذه العلوم، ويؤسسوا جمعيات تتكفل بالقيام ببعثة عدة من التلامذة إلى أم المعارف باريس للاستزادة والتضلع في العلوم المهمة".[13]

ونجد الشيخ الطيب العقبي قد راسل رئيس المكتب الابتدائي الفرنسي ببسكرة طالبا منه أن لا يدع أبناء الأهالي هملا في الشوارع ويحثه على حل مشكلة الاكتظاظ داخل هذا المكتب.[14]

وعموما فصفحات جرائد تلك المرحلة في مختلف أعدادها لا تخلو من الإشارة إلى هذا الموضوع.

وقد أدى استقرار الشيخ الطيب العقبي بالمنطقة الى إحداث نقلة نوعية وحماسة ملحوظة للاهتمام بالعلم والتعليم عكستها الدعوات والصحف...[15]

3- أهم المدارس العربية الحرة في الزيبان:

3-1- مشروع محمد السعيد الزاهري:

تعد دعوة محمد السعيد الزاهري من أهم المحاولات الجادة التي سجلتها جريدة **النجاح** في سنة 1927، وقد دعا إليها محمد السعيد الزاهري مدعوما من الأمين العمودي والشيخ الطيب العقبي وشيخ زاوية طولقة وأعيان بسكرة أمثال محمد الكبير والصغير بن المشري والحاج الشاوي.

ولهذا الغرض عقد اجتماع بمسجد بكّار ببسكرة حضرته شخصيات إصلاحية وسياسية وعددٌ من أعيان بسكرة وتُجارها، تقررت فيه ضرورة العلم ومكافحة الجهل بإنشاء مدرسة لتعليم الصغار بإشراف السعيد الزاهري.

ورغم أن العناصر الإصلاحية قد اختبأت وراء وجوه من الأعيان عندما تركت لها الشؤون الإدارية ، إلا أن هذه المبادرة لم تحظ برخصة نشاط من الإدارة الاستعمارية [16]. وقد تجددت المحاولة لإنشاء هذه المدرسة في أفريل 1930 ، بمبادرة من الحفناوي دبابش ، ولكن حاكم عمالة قسنطينة رفض منحه الرخصة بحجة منع الإدارة الفرنسية المدارس العربية.[17]

3-2- مدرسة الإخاء:

تُعد مدرسة الإخاء نواة المدارس الإصلاحية في المنطقة لسبقها الزمني، فقد تأسست عام 1931، ورغم أنه قد تجاذبها اتجاهان، اتجاه إصلاحي رأى أن ظهورها هو تجسيد لتوجيهات الشيخ عبد الحميد بن باديس للطلبة المتخرجين من الزيتونة بإنشاء المدارس، ومنهم محمد خير الدين الذي ساهم في الإشراف عليها بفعالية ، أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الأعيان الذين يُمثّلهم الحفناوي دبابش والذي انتخب رئيسا لها.

عقد الاجتماع التأسيسي لها بمنزل الحفناوي دبابش في 3 جوان 1931 ، وحظيت بدعم مادي ومعنوي من التجار والأعيان والنواب وحضور هام (أربعة وسبعين (74) شخصا)، وتحدد ت فيه الهيئة الإدارية لتسيير جمعية **الإخاء** التي تتكفل بتأسيس مدرسة عربية هدفها: " القضاء على الجهل والتأخر الذي تعيشه الأمة الجزائرية، والعمل على تلافي هذا الخطر المنذر بالاضمحلال".[18]

وقد جعلت المدرسة رئيس بلدية بسكرة **كازناف** رئيسا شرفيا لها، لتسهيل حصولها على رّخصة النشاط وموافقة الإدارة على قانون جمعيتها الأساسي، وهو ما تم فعلاً في أوت 1931 .[19] وشرعت

المدرسة في التدريس في أوت 1931، وتشكلت من ثلاث طبقات طبقة أولى برئاسة الشيخ محمد خير الدين، أما الطبقة الثانية فترأسها الشيخ محمد بن إبراهيم الطرابلسي، أما الطبقة الثالثة فترأسها الشيخ بلقاسم ميموني الغسيري، إضافة إلى معلمين آخرين مثل عمر بن البسكري...[20]

وقد وصل عدد تلاميذها مئة وعشرة (110) تلاميذ حسب محضر المدرسة في أكتوبر 1932 في أربعة أقسام ،أما جريدة النور فقدرتهم بمئتي (200) تلميذ.رغم أن هذا المحضر هو في عام 1932 أما النور فكتبت عن المدرسة في نوفمبر 1931، فربما تناقص عدد التلاميذ أو أن مراسل جريدة النور قد قدر عددهم بالمشاهدة أو التخمين فقط .[21]

وقد أخذت مدرسة الإخاء اسمها من كونها شملت التلاميذ العرب والشاوية والإباضيين الميزابيين جنبا إلى جنب، وهو الأمر الذي أشاد به الجميع.[22]

ومن خلال وصف الصحافة للنشاطات التي كانت ينظمها تلاميذ المدرسة يَبرز لنا التطور الذي استطاعت تحقيقه في المشهد التربوي بالمنطقة ، كتنظيم الأناشيد والمحاضرات والمسرحيات... ولكن يبدو أن انطلاقة مدرسة **الإخاء** لم تستمر على الوتيرة نفسها، فسرعان ما زال الحماس بفعل التنافس الانتخابي بين الملاّك والأعيان من جهة والمصلحين من جهة أخرى ، خاصة بين الحفناوي دبابش والشيخ محمد خير الدين ،مما حرمها من الدعم المالي والمعنوي.[23]

3-3- مدرسة العرفان:

وهي مدرسة أسسها الميزابيون (الإباضيون) الذين شكلوا مجموعة مؤثرة وفعالة في بسكرة. وقد فتحت أبوابها فتحت أبوابها أمام التلاميذ الميزابيين والمالكية وغيرهم، ويبدو أنها كانت متأثرة بدعوة محمد السعيد الزاهري والحفناوي دبابش اللذين شرعا في الإعداد لتأسيس المدارس العربية، ومتأثرة بالحركة الإصلاحية الناشطة في وادي ميزاب أيضا [24]. قامت مدرسة العرفان بتدريس اللغة العربية وعلوم الشرع...وقد سجلت لنا جريدة **النجاح** تفاني مُدرسها في عمله، وهو الشاب علي بن صالح عمر، ولكن يبدو أن مستواها ابتدائي كما أنها لم تعمر طويلا فلا نجد لها ذكرا بعد إنشائها.[25]

3-4- مدرسة الباشات (الستائر):

بانتهاء مشروع مدرسة الإخاء بادر الشيخ محمد خير الدين بتأسيس مدرسة مؤقتة في احدى البنايات التي تملكها عائلته في بسكرة، وقد أحاط بعض أجزائها برداء (باش) لعدم اكتمال بناء جدرانها لذا أخذت هذا الاسم، وقد درّس بها مؤقتا محمد بن العابد الجلالي، ومحمد الصادق المراوي، والسعيد صروطة، وأحمد الدراجي العقبي، والحاج أبوبكر، ويظهر أن تعليمها كان تعليما ابتدائيا بسيطا.

3-5- مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ببسكرة :

بفعل اتحاد بين المصلحين وعدد من الأعيان تأسست "**الجمعية الخيرية الإسلامية** "، التي أعلنت أن هدفها إعانة الفقراء والمحتاجين وتعليم أبنائهم، ترأسها عبد القادر صميدة، أما نائبه فهو محمد خير الدين، فتحت الجمعية مدرستها في ديسمبر 1935 وهي خاصة بالجنسين معا، وأهم معلميها أحمد بن الدراجي والسعيد بن الطاهر الزياني والحاج

أبو بكر وحسب الأستاذ محمد الطاهر فضلاء فإن مقرها هو مقر نادي الشباب التابع للجمعية الخيرية.[26]

3-6- مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الزيبان:

يجب أن نلاحظ أنه بتأسيس جمعية العلماء فقد عرف إنشاء المدارس اهتماما خاصا وتسارعا ملحوظا، ولو على المستوى الدّعوي أحيانا فقط، و في الأخير توج هذا الاهتمام بظهور مدارس إصلاحية حرة في المنطقة وهي:

- مدرسة الهُدى بالقنطرة:

دعا إلى تأسيسها السيد موسى بن حمّودة سنة 1931، والذي ترأس جمعيتها المحلية، ، وبتطور الأحداث سيطر الإصلاحيون عليها، وفي سنة 1947 ،تم افتتاحها رسميا بأربعة أقسام ،بحضور رئيس جمعية العلماء محمد البشير الإبراهيمي وبعض أبناء المنطقة أمثال محمد خير الدين والنعيم النعيمي وأحمد رضا حوحو ومحمد الصالح رمضان ومحمد العيد آل خليفة، الذي خلّد المناسبة بقصيدته التي مطلعها:

فتحٌ جديدٌ قد بَدا في فتح مدرسة الهدى

بُشرى **لقنطرة** سمت ونمت شبابا رشدا

وقد استفادت مدرسة " **الهدى** " من وجود أساتذة مكوَّنين في جامع الزيتونة ومعهد ابن باديس...، أمثال:محمد الأمين سلطاني وعبد اللطيف سلطاني وعلي بن الطاهر بختاتو والشيخ المبروك هوشات (معلم قرءان) وعبد الباقي نور الدين (الذي تتلمذ بها)، كما درّس بها مؤقتا المعلم عبد الرحمن رمضان والسعيد رمضان وأحمد بن ذياب ومحمد الصالح رمضان[27]

- مدرسة الهدى (برج بن عزوز):

أسس عبد الحفيظ جلاب (1898-1956) بمساعدة ابن عمه أحمد بن فرحات جلاب في عام 1936 مدرسة الهدى في برج بن عزوز (قرب طولقة) ،وهي مدرسة ابتدائية ،فقد درّسا فيها مبادئ الأدب و الفقه والرياضيات والتاريخ والجغرافيا وعلوم الطبيعة أي كل ما استطاعا جمعه ومعرفته، وقد تمكنا من تسجيل عشرين تلميذ فيها.[28]

- مدرسة التربية والتعليم في بسكرة:

من الملاحظ أنه رغم انتشار المدارس الحرة في أنحاء الزيبان، إلا أنها ظلت تفتقد التنسيق والدعم والاستمرار، كما من الملاحظ تأخر إنشاء مدرسة حرة قوية بمدينة بسكرة ، حيث كان لزاما انتظار زيارة رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ الإبراهيمي للمدينة في سنة 1949، الذي جمع أعيان بسكرة ومصلحيها ومعلميها وبعض موظفي الحكومة واقترح عليهم إنشاء المدرسة بإشراف جمعية العلماء، وتقرر تشكيل **"جمعية التربية والتعليم الإسلامية"** ببسكرة التي تولّت تأسيس المدرسة[29]، والتي افتتحت رسميا في مطلع سنة 1950 ، وقد اعتمدت بصفة خاصة على تبرعات الأعيان لتغطية مصاريفها المختلفة.[30]

تكونت المدرسة من سبعة (7) أقسام، و ساحة ومرافق ضرورية (مكتبة ومصلى و مطبخ)، ووصل عدد تلاميذها نحو ست مئة (600) تلميذ من الجنسين، وأشرف عليها الشيخ علي المغربي ثم علي مرحوم ثم

أحمد السرحاني، أما أشهر معلميها فَهُم من الإصلاحيين أمثال: امحمد مغزي وعمر نوار وعبد الله حمودة وصالح مدور ومحمد عتيق وأحمد معاش ومحمد الطيب ترعة والطيب زرايق، ومحمد الحسن الصايم ومحمد الشريف الفلالي وصالح مهني والصديق بوشاشي.

وعلى صعيد النشاط نجد في الصحافة وبعض المصادر الشفوية وصفا حافلا لنشاطات المدرسة المتنوعة بوسائلها المحدودة، فقد أَحْيت المناسبات الدينية والعلمية كإحياء ليالي رمضان، ويوم العلم، واحتفال بداية ونهاية الموسم الدراسي، و استطاعت تكوّين فرقة صوتية للبنات بالمنطقة في سنة 1950 بإشراف الشيخ علي المغربي، فخلقت حركة علمية وثقافية لافتة للنظر، و حققت نتائج دراسية مقبولة في امتحانات الشهادة الابتدائية سنة 1952.[31]

– المدارس الابتدائية:

امتازت مدرسة التربية والتعليم ببسكرة باحتوائها تعليما ابتدائيا ثم تعليما متوسطا، عكس غيرها من المدارس الأخرى المنتشرة بالزيبان التي اقتصر تعليمها على المرحلة الابتدائية فقط. وقد تطورت هذه المدارس الابتدائية كما وكيفا ابتداء من الأربعينيات ففي سنة 1940 نجد بالمنطقة المدارس التالية:[32]

– مدرسة بسكرة بأربعة معلمين.
– مدرسة شتمة بسكرة بمعلم واحد.
– مدرسة رسوطة (طولقة) بمعلمين اثنين.
– مدرسة القنطرة بأربعة معلمين.

وفي سنة 1950 أصبح العدد كالتالي:

– مدرسة بسكرة بأربعة معلمين.
– مدرسة رسوطة (طولقة)بمعلمين اثنين.
– مدرسة المغير(طولقة) بثلاثة معلمين.
– مدرسة القنطرة بثلاثة معلمين.
– مدرسة مجنيش (بسكرة السفلى) ،.
– مدرسة مشونش، بثلاثة معلمين .
– مدرسة شتمة .

– جمعية القرءان ببسكرة:

أسسها الأمين الحفيظي (1910-؟) الذي ترشح عدة مرات في بسكرة ضد محمد خير الدين في الانتخابات،وجعلت هدفها تدريس القرءان الكريم والنهوض بمستوى المعلمين الثقافي، وفتحت هذه الجمعية خمسة وعشرين (25 قسما) ووسعت نشاطها خارج منطقة الزيبان إلى خنشلة وبريكة، كما استطاعت فتح خمسين (50) قسما ،وأدرجت تعليم اللغتين العربية والفرنسية معا في المرحلة الثانوية.

وقد توسعت هذه المدرسة لتحمل اسم المدرسة الحديثة (المحمدية) ووصل عدد تلامذتها حوالي أربعمئة (400) تلميذا بينهم ثمانون (80) بنتا ، ويبدو أن هذه المدرسة بإيعاز من مؤسسها الأمين الحفيظي كانت تنافس الجهد التربوي الإصلاحي الذي يرمز له الشيخ محمد خير الدين، وكانت الانتخابات هي المناسبة التي تؤجج الصراع والتنافس بينهما.

و تجدر الإشارة إلى أن المدارس الحرة في الزيبان كما في باقي أنحاء الجزائر قد اصطدم إنشاؤها ونشاطها بقوانين ومضايقات كثيرة أشهرها قانون 8 مارس1938 الذي اشترط الشهادة العلمية المؤهلة للمعلمين، وصلاحية المحل للتدريس واشترط الرخص، حتى بلغ عدد المحاكمات للمعلمين بفعل هذا القانون إلى سبعة

وعشرين (27) قضية على مستوى الجزائر، انتهت بالسجن والتغريم والتغريم المضاعف[33]

ولهذا تزخر الصحافة الإصلاحية في تلك الفترة بشكاوى المعلمين والأهالي من التضييق على النشاط التعليمي العربي الحر خاصة بعد سنة 1938.[34]

خاتمة:

نلاحظ بأن التعليم العربي الحر في منطقة الزيبان قد عرف نقلة نوعية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حيث ازداد الوعي والدعوات لنشر وتعميم التعليم بين أبناء المنطقة وتحرير تعليم الزوايا والمساجد من جموده. وتطور هذا الوعي بعودة أبناء المنطقة وصدور صحافة إصلاحية تهتم بشؤون المنطقة تنادي بإنشاء المدارس.

وبمطلع الثلاثينيات برزت مدارس حرة ولكن البساطة وعدم التنسيق ومحدودية المستوى شكلت السمات الأهم لها ، وبتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931 استفادت منطقة الزيبان من الحماسة التي أشاعتها خاصة عندما تحالف الإصلاحيون المتعاملون مع الأعيان والتجار الساعين لمحاربة مظاهر الأمية والجهل في المنطقة لحسابات وغايات مختلفة (انتخابية، دينية...)، فاستفاد التعليم العربي من هذه المنافسة في إنشاء المدارس والاهتمام بمحاربة الجهل والجمود كل حسب تصوره وايديولوجيته.

وقد تميزت فترة الثلاثينات والأربعينات أيضا بتطور التعليم العربي في الزيبان من حيث عدد مؤسساته ومعلميه وتطور مقرراته ومناهجه، فاستفاد من إشراف الجمعية ودعمها الايديولوجي خاصة إذا عرفنا مدى نفوذ أبناء الزيبان داخل هياكل الجمعية (الإدارية، التعليمية، الصحفية).

واتجه التعليم العربي في الزيبان كما في باقي مناطق الجزائر إلى بناء الشخصية الوطنية وتثبيت عناصر الهوية الجزائرية مما جعل منه وسيلة ايديولوجية أكثر من كونه تكوينا وتحصيلا معرفيا ومهاريا، وهو ما يفسر موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية منه.

– الهوامش والإحالات:

[1] – يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19و20م ، مجلة الثقافة، ع 63، س 11، ماي/جوان 981، ص ص 16،18

[2] – Emir Khaled, Sitiuation des musulmans d`Algérie,1924, Alger, p 39.

[3] – عمار بوحوش، الثقافة، ع 14، 1973، ص 62

[4] – Zouzou (Abdelhamid), L`Aurès au temps de la France coloniale, Evolution politique, économique et sociale (1837-1939), t1. . Edition Houmma, Alger, p 353.

[5] – Zouzou (Abdelhamid), L`Aurès au temps de la France coloniale, Evolution politique, économique et sociale (1837-1939), T2 , Edition Houmma, Alger, p754

[6] –علي امقران، الزاوية السحنونية بالأربعاء ناث ايراثن، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية بقسنطينة، ع 5،س 3، 1981،ص ص 71،72

[7] – محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1.مطبعة النهضة ، تونس ،ص ص 98،99

[8] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.ج3، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ط 1 ،1998،ص ص 150،151.

[9]– Roger Leonard et Maurice Cuttoli ,Gouvernement general de l`Algérie,Deriction des territoires du sud, les territoires du sud. Compte rendu de l`oeuvre accomplie de 1947 à 1952., imprimerie officielle,1954, pp 176,183

[10]- محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي، دار الكتب، الجزائر،المطبوعات الجميلة، 1982، د،ط.، ص 176

[11]- السعيد الزاهري، في النيابة المالية، الشهاب، ع 154

[12]- الإصلاح، ع3، 12 سبتمبر1929 .

[13]- الزريبي، أسباب العمران ووسائل التقدم، الصديق، ع20،1930/12/13

[14]- الطيب العقبي، المكتب الأهلي، الإصلاح، ع5 ، 1929/10/17

[15]- للمزيد انظر: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية،رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف أبو القاسم سعد الله، 1992

[16] ترأسها الحفناوي دبابش نائبه الأول فهو محمد الكبير الحاج منصور، ونائبه الثاني الحاج الشاوي، ونائبه الثالث الدكتور سعدان ،وأمين المال عيسى بن عمارة خبزي....انظر: النجاح. ع 411، 23 فيفري1927.الحفناوي دبابش: بن محمد بن العالم سيدي محمد دبابش، ولد ببسكرة 1876 حفظ القرءان ودرس بزاوية سيدي علي بن عمر، عرف بثرائه ودخوله السياسة نائبا عماليا، وقف أمواله كلها للصالح العام في عام 1946، كما اشتهر بأعماله الخيرية ورئاسته جمعية الإخاء، رغم أنه نافس التيار الإصلاحي بعد انتخابات 1934. توفي 1957/04/10. انظر: سليمان الصيد، مدرسة الإخاء في بسكرة 1931 دورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في منطقة الزيبان وغيرها ، 2003، ص 6

[17]-المرجع نفسه، ص 15

[18]- الأوراس ،من علماء الأوراس الشيخ بلقاسم ميموني، الأوراس، ع9، 4 مارس 1990

[19] الشهاب، عدد أوت 1931

[20] - لخضر عمروش، حول زيارة المدير وما وافانا به، البلاغ، ع 237، 4 ديسمبر1931.

أما بلقاسم بن عمار ميموني، فقد انتقل إلى الزيتونة 1914، وبقي فيها 11 سنة، أين حصل على العالمية في التاريخ والقراءات السبع كما درس بالمعهد الخلدوني، وهو صهر محمد خير الدين، انتقل من بسكرة إلى دلس واريس وبجاية فبسكرة، عضو جمعية العلماء، توفي في 1967.

- الأخضر رحموني ، أضواء حول الشيخ بلقاسم ميموني المربي وعالم القراءات، البصائر (الجديدة)، ع 137، 31مارس/ 7 أفريل2003

[21] النور، الاحتفال العظيم بمدرسة الإخاء ببسكرة. ع 11، 24 نوفمبر1931

[22] الشهاب، فيفري 1932

[23] الشهاب، ثلاثة أيام في بسكرة. ج 2، م8، فيفري 1932.وأيضا:

- ابن باديس، في المجتمع الجزائري دور من أدوار الجزائر الحاضرة. الشهاب، ج 8، م7، أوت1931

[24] النجاح، 24 جويلية 1931، وأيضا: محمد خير الدين، المذكرات،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ص ص 93، 95

[25] حول النشاط الإصلاحي في المنطقتين انظر:

- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954، دار طليطلة، الجزائر، 2013

[26]- تقع المدرسة في 21 شارع محمد العربي بعرير.للمزيد انظر: - رحموني، مرجع سابق

[27]- محمد الطاهر فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني، شركة دار الأمة، ط1، 1999، ص 114

[28]- المرجع نفسه، ص ص 103. 104

[29] الخلدونية، الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية، بسكرة، ع 4 ، 2004، ص 26

[30] للتعرف على مجلسها الإداري ، انظر :

- الحفناوي هالي، جمعية التربية والتعليم الإسلامية ببسكرة، البصائر، ع 106، 6 فيفري 1950

[31] - الحفناوي هالي، وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة. البصائر، ع140، 5 فيفري1951

- عبد الحميد زردوم، الموسيقى والمسرح في بسكرة، 1844-1962. ترجمة عثماني دلباني، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، أفريل 2005

[32] - البصائر، ع 202، 29 سبتمبر 1952 .

- الحفناوي هالي، ذكرى يوم العلم، البصائر، ع 35.

- الحفناوي هالي، يوم العلم بعاصمة النخيل. البصائر، ع1،118ماي1950

[33] - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981،ص 392 .

- البصائر، قائمة بأسماء المعلمين ومراكزهم، ع 56، 15 نوفمبر1948.

- البصائر، المعلمون والمدارس، ع 10، 1948

[34] - البصائر، ع151، 4 فيفري 1939

- البصائر، ع 17

- البصائر، ع 165، 10 مارس 1939

البصائر، ع 76، 23 جويلية1937.

- البصائر، القوانين بين الوضع والتطبيق، ع 174، 14 جويلية1939

- البصائر، يالله للإسلام والعربية في الجزائر، 8 أفريل 1939